مقدمة الكتاب

من هو رجل الصناعة ؟ ماهو دوره ؟ ما الذى يحركه ؟ وكيف ينجح ؟

هذه هى الأسئلة المحورية التى يسعى هذا الكتاب للإجابة عليها .

ذلك أنه بالرغم من انشغالنا فى العالم العربى بقضية التصنيع منذ بزوغ الحركة القومية فى أوائل القرن التاسع عشر ، إلا أننا نعرف القليل جدا عن رجل الصناعة . وفى أحيان كثيرة تتوجه أنظارنا إلى العناصر الأخرى فى عملية التصنيع مثل التمويل والتدريب والتكنولوجيا ، وننسى العنصر الجامع لكل مجهودات التنمية الصناعية فى منظومة متناسقة ومتجانسة وفعالة ، ألا وهو المنظم الصناعى .

بل إننا نجد الأجيال السابقة ، التى شجعت التحول الصناعى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى، أكثر وعيا منا واعترافا بدور المنظم الصناعى فى تحويل ذلك المجتمع الزراعى الساكن إلى مجتمع قادر بنفسه على توفير احتياجاته الأساسية من السلع المصنعة .

ذلك أن دور رجل الصناعة قد أصابه الكثير من الخلط والتشويه أثناء فترة الانفتاح الاقتصادى فى السبعينيات ، وهو ما يتطلب إعادة تقييم هذا الدور اليوم .

ولقد شغلنى هذا الموضوع لفترة طويلة ، ولعل اهتمامى به يرجع إلى اقتناعى بأهمية دور الفرد فى صناعة التاريخ ، وبأن هناك رجالا ونساء أفذاذا قادرين على تغيير حياة الأمم ، وتتمثل عبقريتهم فى قدرتهم على تسخير ما حولهم من ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية لتحقيق الأهداف الطموحة التى يصبون إليها .

وكان السبب الثانى ، ولعله الأهم ، الذى دفعنى للقيام بهذه الدراسة هو الرغبة فى إظهار صور نقية من النجاح فى مجتمعنا المعاصر ، ذلك أن الجيل الحالى ، جيل مابعد النكسة ، قد افتقد القدوة الصالحة والنماذج الإيجابية لرجال العمل العام ، ومع توفر هذه النماذج المخلصة فى كل مجال ، نجد أننا نكاد نغرق فى موجة عاتية من الإعلام السلبى الذى يركز على كل ما هو فاسد فى حياتنا ويهمل كل ما هو إيجابى .

وبينما تسعى الشعوب الناهضة إلى تقديم النماذج الناصعة من تاريخها كنبراس وقدوة للأجيال الجديدة ، تدفعنا نحن رغبة غريبة فى تعذيب النفس إلى أن نسلط الأضواء على صور الانحراف والفشل بدلا من صور النجاح والأمل ، وفى الوقت الذى نسعى فيه إلى دعم الإنتاج والنهضة الصناعية ، كانت المعاول تهدم صورة رجل الصناعة .

ولقد أتيحت لى فرصة قريبة لمتابعة رجل الصناعة أثناء عملى فى مجال بنوك الاستثمار فى مصر ومشاركتى فى إنشاء عدد من المشروعات الصناعية فى الثمانينيات، وشاءت ظروف العمل والزمالة المهنية والمشاركة فى أعمال جمعيات رجال الصناعة والأعمال (مثل جمعية خريجى معهد الإدارة العليا - الجمعية المصرية للإدارة المالية - جمعية رجال الأعمال المصريين وغيرها) أن أتعرف على الكثير من النماذج الناجحة فى مجال الصناعة ، وكان لكل منهم قصة تستحق أن تروى كأمثلة ناصعة للكفاح والعمل الدؤوب والنجاح الصعب .

وحفزتنى هذه الصور الباهرة إلى التعمق فى دراسة ظاهرة رجل الصناعة . ووجدت أن المكتبة العربية تفتقر إلى الدراسات التطبيقية فى هذا المجال . وحتى إذا اتبع المنهج التطبيقى ، فإن معظم البيانات الخاصة برجل الصناعة تجمع عن طريق غير مباشر ، مثلا من خلال استقصاء يرسل بالبريد . وخلصت إلى أن المنهج الأفضل هو الاعتماد على اللقاء الشخصى فى جمع معلومات الكتاب . ذلك أن الحوار المباشر يسمح بفرصة أكبر للتحقق من صحة البيانات ، ولمتابعة الإجابات الموحية ، ولربط الجوانب المختلفة من التاريخ الشخصى وتجربة العمل مما يعطى عمقا أكبر وصورة أدق لشخصية رجل الصناعة المعاصر .

وينقسم الكتاب إلى جزأين مترابطين ، الأول يتضمن تقديما نظريا لرجل الصناعة أو المنظم ودوره فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ثم عرضا للتطور التاريخى لرجل الصناعة المصرى مع دراسة عامة لحوافزه وتكوينه وأساليب إدارته . أما الجزء الثانى فهو دراسة تطبيقية لخمسة عشر رجلا من رجال الصناعة المصرية يمثلون خلفيات اجتماعية وعلمية وتجارب متباينة فى القطاعين العام والخاص . فمنهم من يمتلك العديد من المصانع ، ومنهم من كان نصيبه بعد أن شق طريقه الصعب إلى قمة مصانع عملاقة هو الستر، والذكرى الطيبة، منهم من قدم للوطن إنجازات ضخمة دون أن يعرفه أحد خارج نطاق الصناعة ، ومنهم من وصل إلى منصب الوزارة عدة مرات ، ومع تعددهم وتباينهم استطعنا تقديم صورة متعددة الجوانب للمنظم الصناعى المعاصر .

ومكنت هذه الدراسة التطبيقية لرجال الصناعة من التعرف ليس على أسلوب حياتهم ومنهجهم فى الإدارة فقط ، بل أيضا فتحت لنا نوافذ كثيرة للاطلاع على تاريخ الصناعة المصرية المعاصرة ، ولعل أهم هذه النوافذ هى تلك المطلة على التاريخ الاجتماعى لنشأة الصناعة المصرية .

ولقد أثبتت هذه الدراسة تفاؤلنا بشأن مستقبل الصناعة المصرية ، وأكدت أن مصر بخير برجالها المخلصين ، ذلك أن النجاح فى الصناعة ، كما رصدته الدراسة فى الباب الثالث الذى يلخص نتائجها ، يعتمد على مجموعة من القيم الوسيطة للمجتمع المصرى ، وأنه متاح لكل ذى عزم وهمة .

ولقد وفقنا الله إلى إتمام هذا العمل فى حوالى خمس سنوات ، بدأت فى أواخر ١٩٨٥ بإعداد نموذج للاستقصاء الذى يستخدم فى المقابلات ، وبدراسة النواحى النظرية لتطور المنظم الصناعى ، واحتاج اختيار العينة وترتيب المقابلات إلى وقت طويل، وبالذات لانشغال كافة الأطراف ، وما تطلبه جمع بيانات مستقلة عن رجال الصناعة المختارين ، وإقناعهم بأهداف الدراسة من وقت ، وفى أحيان كثيرة كانت هناك اتصالات إضافية بعد اللقاء التسجيلى الأول ، وأجريت المقابلات خلال الفترة ١٩٨٦ - ١٩٨٨ (وذلك باستثناء مقابلة هامة مع الأستاذ مشهور أحمد مشهور تحققت بعد طول انتظار فى يناير ١٩٩٠ وسجلت صفحة ناصعة من الإدارة المصرية الناجحة، فى تسيير وتطوير مرفق عالمى هو قناة السويس) .

وأود أن أسجل بإعزاز مساهمة صديقى وزميلى الأستاذ مصطفى كمال أحمد فى تحرير المقابلات مما أضاف إليها لمسات جمالية عديدة . كذلك أقدم الشكر والامتنان لرجال الصناعة الذين وافقوا على المساهمة فى هذه الدراسة ، وأرجو أن يغفروا لنا إخفاقنا فى التعبير تعبيرا كاملا عن كافة جوانب شخصياتهم الفذة ، فهذه مهمة صعبة فى كل الأحوال . ولقد سعينا إلى أن نبرز النواحى المتفردة فى الشخصية التى اعتقدنا أنها تميز كلا منهم عن أترابه ، كذلك أود أن أسجل عرفانى للصديق الأستاذ عصام رفعت ، رئيس تحرير «الأهرام الاقتصادى» ، الذى نشرت فى مجلته بعض الارهاصات المبكرة لهذا العمل وبالذات دراسة عن «رجل الصناعة المصرى» فى يناير ١٩٨٦ ، وسلسلة عن تاريخ الصناعة المصرية فى النصف الأول من القرن

العشرين ، فى صيف ١٩٨٦ ، كذلك نظمت تحت رعايته ، ندوة «أسرار النجاح فى الإدارة الصناعية المصرية» فى فبراير ١٩٨٧ .

وأخيرا ، يحدونى الأمل أن تكون هذه الدراسة حافزا لآخرين من المتخصصين فى الإدارة ، والاقتصاد والاجتماع ، للقيام بدراسات متعمقة فى شخصية وتكوين العنصر المجهول فى التنمية العربية ، ألا وهو رجل الصناعة .

والله من وراء القصد .

مصر الجديدة فى ١٩٩٠/٨/٦ .

د. على سليمان

مستشار اقتصادى